١٩

أمريكا والإسلام

إننا معاشر المسلمين لمدينون لأمريكا بالشكر على ماتقوم به غير عامدة من الدعوة إلى ديننا . وهذه مسألة تحريم الخمر لايزال قانونها سيفا مسلولا على رقاب الناس هناك ، يُرْهِق أهل الترف والخلاعة والفجور ، وتجنى منه الأخلاق والصحة والأمن والثروة أكبر ربح

واليوم أضافت أمريكا من حسناتها إلى الإسلام حسنة جديدة . إذ قامت فأبطلت ضلالة ، وأماتت بدعة كان دارون صاحب مذهب النشوء والارتقاء قد ابتدعها فدان بها من دان وفُتِنَ بها من فُتِنَ

انتهى دارون من بحثه الطويل الضافى الذيول إلى أنَّ أصل الإنسان قرد ، وقد ذاعت لهذا الرأى شهرة عجيبة حتى أصبح أصلا مقرراً من أصول العلم وأُلّفت فيه الكتب . ومضى علينا وقت كان من طرائف الحديث ولذائذ السمر ومن سِيما الحَذاقة والكياسة أن يجيد أحدنا البرهنة على هذه الضلالة ويُنافح [1] عن تلك البدعة . ولا أستطيع أن أُثبت أو أَنفى كون هذه النظرية من مناهج التعليم بمدارسنا العليا ! ! ولكنى على كل حال أقول إن كثيراً منا يدينون بها ويناضلون عنها مع منافاتها لأحكام ديننا

---

(١) يدافع

واليوم قرأنا فى أخبار أمريكا أنها قامت تحارب هذا الرأى ، فبعض ولاياتها مَحَتْه من كتبها ودوائر معارفها ، وولاية تنيس حاكمت الأستاذ « سكوت » لأنه لقّن تلاميذه هذه النظرية ، وولاية المسيسبى نَشِطتْ فسنّت قانوناً يعاقب المجاهر بهذا الرأى من أساتذة المدارس بغرامة مائة جنيه والفصل من الوظيفة

فبَخٍ بَخٍ لكِ يا أمريكا ! ! لقد كانت نهاية المدنية وقصارى العلم عندك أن تقرّى فضل الإسلام فى أمور لَمَسْتِ منها الإفساد للنظام والإضرار بالمجتمع فكيف بك لو اطلعت من سائر أموره على ما يزيّن الدنيا فيجعلها جنة ويكفل فيها النعيم الشامل والخير المتواصل

٢٠
مشايخ الطرق

بلغَنا أن ما قلناه فى خدَمة الأضرحة وقراء القرآن قد ساءهم جداً وأنهم نَذِروا [١] بنا وتوعّدونا . ونحن أمام غضبهم نرى أنفسنا قريرى العين لأن وجهتنا فى النقد لم تكن لإطفاء حقد أو تشفّ من خَصم ، بل كان رجاؤنا أن يصعد إلى الله مع صيامنا نية حسنة يمكن أن يكون لها أثر صالح . . . فما للناس نكتب . ولا لغلّ فى الصدور نشهّر . لذلك نمضى فى عزيمتنا متممين ما أخذنا فيه ، ما لم تحل إرادة فوق إرادتنا . والله على ما نقول وكيل

* * *

إذا قلت فى مشايخ الطرق فقطع الله لسانى وأَشَلّ يمينى إن أردت هؤلاء الأفذاذ [٢] أهلَ الوَرَع والدين ، ونجوم الهدى واليقين ، الذين هم رحمة الله تمشى بيننا ، ونور نبيه يكمل إيماننا

فأما من أَتقرب إلى الله بإذاعة مساوئهم وأُسبّحه بالتشهير بهم ، وأرانى داعياً إلى الحق إذا نصحت بهجرهم وحملت الناس على مطاردتهم . فهم الذين تعرف فى وجوههم نُضرة النعيم ، وليس لهم من وسائل الكسب حقير ولا

---

(١) نذر « كفرح » القوم بالعدو علموا به فحذروه واستعدوا له

(٢) جمع فذ هو الظاهر الفضل

جسيم . يقضون عامهم فى سُبات عميق فلا يعملون إلا فى المواسم ، ولا يسعَوْن إلا إلى الولائم ، ولا يجدّ منهم الجِدّ ، إلا فى كل مولد . ولا يمرون بالبلاد ، إلا أيام الحصاد . حديثهم بخُل وجاد ، وفلان كثير الإيراد . . . وإقامتهم فى المدن الكبرى لتلقى القادمين وتشييع المسافرين . عرفهم خدام القهاوى ذباباً لا يطرد ، وكابوساً لا تشرّد . واتخذهم أصحاب الفنادق وسطاء ، لجلب النزلاء . لا يتجاوزون أن يكونوا فى شوارع العواصم ، مطوفين لكل قادم . يدلونه على ما هداهم إليه عَسَسُهم [١] وأوقعهم فى تسكّعهم [٢]

هؤلاء حقاً مشايخ « طرق » ولكنها طرق القاهرة كعهد الدين ، أو طرق الاستيلاء على كسب العاملين

(١) العس طواف الليل (٢) التسكع مشى من ليس له وجهة يقصدها

٢١

متنبىء جديد

لست أتحدث عن رجل يبهَر الأبصار بعجيب ما يأتى ، ويحيِّر الألباب فى فهم ما يخيِّل . ولا أحدثك عن شاعر — كالذى قالوا — يقيد الأسماع بسحر بيانه ، ويستغوى السُذَّج بمكذوب قرآنه . . . لا عن هذا أو ذاك ، ولكن عن شيخ يؤم الناس فى مسجد تديره وزارة الأوقاف فى أحد أحياء القاهرة الآهلة . شيخ يملأ الغرور فراغ رأسه الصغير فى جسمه الضئيل فهو فى درسه بعد المغرب لا يزال يندُب الدين ، ويبكى حظ المسلمين . ويهزأ بكل ما يرى من أحوال الناس فى عبادتهم . فالأذان فى رأيه غير شرعى والصلاة غير منعقدة والصوم غير مقبول . وقد مكّنه الشيطان من قوم هم شرٌ مَن عبد الله لأنهم يجمعون مع الجهل . خفة العقل . ويضيفون إلى الحماقة ، شدة الصفاقة أولئك هم نُفاية من النوبيين تعطلوا لسوء أخلاقهم ، واختلال أعمالهم . وغباوة أفهامهم ، وعُرامهم على أسيادهم . وجد فيهم هذا الشيخ دمنة سَبِخَة غرس فيها ضلالته فأنبتت شراً وعَنَتاً وإهانة وعدواناً وأموراً كثيرة يتعرض لها كل من ينكر على هذا الشيخ ما فَتَن به الناس وخرق الإجماع .

ولقد جرى ذلك علىّ فاحتملته فى سبيل الله . وكان قد جرى قبلى على

العالم الجليل والورع المعروف الشيخ الزنكلونى فإنه صلّى مرة بهذه الأشنان[1] البالية أو الزّقاق المملوءة هواء[2] فلم تعجبهم صلاته لأنها غير ماعلّمهم شيخهم وصال عليه عبد منهم يخطئه فى الدين الذى هو من أمته ، والأمر الذى هو من أركان بنيته . حتى لقد اضطر فضيلة الأستاذ أن يجره إلى الشرطة ليلقى جزاء جرأته . وما هى بواحدة المرّات التى تدخلت فيها الشرطة بين هؤلاء الأغبياء وكل طارئ تسوقه قدماه إلى هذا المسجد .

أما إمام هذا المسجد الذى يتقاضى من وزارة الأوقاف — على غير علمها — أجر هذا الضلال ورشوة هذه الفتنة التى يوقد نارها بين المسلمين فمن رأيه أن الأذان أربع تكبيرات لا ثنتان ، وأن ركعات التراويح ليست بعشرين بل هى ثمان . وأن صلاة الجمعة إذا لم يقض فى خطبتها ساعة وفى ركعتيها أخرى فليست بجمعة . ويتحدث بعض الناس أنه صلاها فى مسجد السيدة زينب ثم وصل إلى جامع جركس ماشياً فأذا بالامام لم ينته بعد من خطبته . أما بقية الفروض من الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء فأقسم بالله أنى عددت أحدى وعشرين تسبيحة والشيخ ساجد لم يرفع رأسه حتى خُيّل إلى أنه قد مات ، أوهجم عليه السبات . فما رأى وزارة الأوقاف وقد تحاشى كل ذى عمل أوصاحب حاجة أوعاهة أن يصلى فى هذا المسجد ، وصار جيرانه الأدنَون يتكلفون الذهاب إلى المساجد البعيدة حتى لاتسرق أمتعتهم ، وتنهب حوانيتهم ، فى هذه الغيبة التى تطول ، والرحلة التى ليس منها قفول .

---

(١) جمع شن وهو جلد القربة ويشبه السود بالأشنان تحقيراً لسوادهم

(٢) الزقاق جمع زق وهو القربة ويكنى بالزق المملوء هواء عن الأسود الجاهل

إن كان الشيخ على حق فقد وجب أن يأثم جميع أئمة المساجد ما عداه . وإن كان على باطل فلم هذه الهَوادة فى دين الله ؟

إنها لفتنة وإننا لا نزال نتوقع من هؤلاء الجهلة أشياع الشيطان ، وأعداء الديّان . أن يخرجوا لتمزيق الصفوف فى كل مسجد لا يدين إمامه بما اعتقدوا أنه الحق وما سواه الباطل . فإن شاءت وزارة الأوقاف إلا أن تترك هذا الشيخ يستبد بالدين ويشرع لنفسه ما لم يَرِدْ عن الأئمة الأربعة الذين يجرى على مذاهبهم العمل عند عامة المسلمين فَلْتُطوِّقْ هذا المسجد بسياج من شرطها حتى لا تتعداه الفتنة إلى غيره

٢٢

التناقض

إنى أمقتُ ذلك الأسلوب الذى ينهَجه بعض الكتاب للإشادة بذكر أنفسهم فينقلون للقراء ما وصل إليهم من رسائل التشجيع والتحبيذ. ولكنى أرى نفسى اليوم مضطراً إلى ركوب هذا المركب. ولعلى معذور عند القراء إذا عرفوا الأسباب التى حفَزتنى [1] إلى ذلك.

كان من كلماتنا كلمة فى نقد الوعاظ وما يأتون من أباطيل يزعمون أنها أحاديث، وقد نتج من هذه الكلمة أمران متناقضان أما أولهما فهو هذا الخطاب

حضرة . . .

وبعد فقد اطلعت على مقالاتك تحت عنوان «كلمات صائم» على صفحات البلاغ الأغر فإذا هى مقالات سديدة تنبئ عن غيرة شديدة على الدين. وقد سررت جداً منها خصوصاً فيما يتعلق بانتقاد الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة التى يذكرها الوعاظ فى دروسهم. تلك الأحاديث التى لو تمسك بها الناس لكانت سبباً فى هدم الدين مثل (وهنا نقل الكاتب الحديثين اللذين وردا فى كلمتنا (٨)). ويا للأسف لقد ابتلى الدين الحنيف من قديم الزمان بأناس تقوّلوا عليه كثيراً ونسبوا إلى صاحب الشرع الحكيم صلوات

---

(١) حفزه إلى الأمر اضطره إليه

الله عليه أشياء لم يفعلها وأحاديث لم يقلها فلا حول ولا قوة إلا بالله

محمود عنبر

مدير معهد طهطا العلمى الدينى

أما الأمر الآخر فهو ذلك المقال الذى نشر فى بلاغ الاثنين ١٥ رمضان وفيه يتهمنا الكاتب بالجهل لأننا لم تصح عندنا هذه الأحاديث والمقال بإمضاء (سيد محمد راضى بينها)

أليس هذا أيها القارىء تناقضاً (ذم ومدح وذات الشىء واحدة) . ولكن قد تبين الرشد من الغىّ لأن صاحب الخطاب صاحب فضيلة من كبار علماء الأزهر الشريف ومن ذوى الغيرة على الدين يحمى حوزته ، ويقى بيضته . أما (سيد محمد راضى بينها) فإننا لم نعرف فصيلته ، وهو لم يعرّفنا عن نفسه بأكثر من انتسابه إلى بِنها ، وإن أهل بِنها لكثير ، أليس فيهم الزيات والخياط وضارب الرمل وكاتب الأحجبة وفقيه الكتاب أو عريفه

ألاَ إنك يا سيد محمد لا تزال نكرة من النكرات وإن بِنها وحدها لا تكفى لأن يتعرف بها رجل يتعرض للكلام فى الدين

وقد بدا لنا أن نلوم البلاغ لقبوله مثل هذا الكلام من مثل هذا الكاتب ولكننا عدنا فتذكرنا أنه شديد التمسك بحرية الرأى فلتكن له حريته وليكن لنا الدفاع عن الحق

٢٣

ولاية القضاء [١]

لست متناولا مسألة امتناع على سالم بك ومخاصمة الدفاع له وقرار جمعية المستشارين وما ذلك لهوان الأمر علىّ . ولكنّ سادتنا الساسة قد كفونا المؤونة وأدّوا للشعب واجبهم فى مسألة لا شك أنها تهمّ الشعب كله

إنما أريد بولاية القضاء تلك التَّبِعة الكبرى والأمانة العظمى التى كان خلفاء المسلمين فى أول الأمر يعانون الجهد فى الاهتداء إلى من يرضى بحمل ثِقْلها والنهوض بأعبائها . فقد حدّثنا التاريخ عن أبى حنيفة أنه دُعى إليها فقال : ما أصلح لها . وأنه ضُرب أو سجن من أجلها . وأن أبا قِلابَة طُلب فهرب وغاب حيناً ثم عاد فقيل له : لو وَلِيتَ القضاء وعدلت كان لك أجران . فقال : إذا وقع السابح فى البحر فكم عسى أن يسبح ؟ . كما حدّثنا أن عمرَ ابنَ عبدِ العزيز طَلَب إلى إيَاسِ بنِ مُعاوِيةَ والقاسم بن رَبِيعَةَ أن يولِّىَ أحدَهما القضاء فجعل كل يحيل على الآخر ويقدَح فى نفسه بما يظن أنه ينجيه منه حتى وقع فى شَرَكه إياس فكان من زَكَنه وعدله ما ضرب به المثل .

فما هو يا تُرى ذلك الذى هال الفقهاء . من أمر القضاء ؟ لقد هالهم أن أحدهم يرى القدر معلقاً بين شفتيه ، وأنّ مصير الناس منه وإليه . فمنهم شقى وسعيد . ويرى أنه يجلس للحكم فيفترش أريكته فى الجنة أو يَتبوّأ مقعده من النار . وأنه إذا قال حكمت ، كان صدى صوته وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ .

---

(١) كتبت يوم البدء فى محاكمة المتهمين فى قضايا القتل السياسى

فما بالك برجل يتمثل الخلد وسقر، وينطق بلسان القدر . ويرى الله قد شرَّفه، فأمره أن يخلفه . ومنحه من صفاته القدرة وطالبه بالعدالة

نعم هاله أن يكون كلام الناس جِدًّا وهزلا وكلامه لا هزل فيه ، وأنَّ كل خطأ إلى ملافاة وخطؤه لا يمكن تلافيه . وهاله أن من المحتكمين إليه مظلوماً تشق دعوته السماء، وموتوراً تحرق أنفاسه الهواء . وبريئاً أُخذ بجريرة متهم، وهو لم يَجْنِ ولم يَأْثَم

لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا عَلِمَ اللـــــهُ وإِنِّي بِحَرِّهَا الْيَومَ صَالِي

هذا ما هال السلفَ من أمر القضاء . فهل خطر ببالهم ما يجرى بيننا من تقاتل وتناحر [1] . وتحاجز [2] ، وتناجز [3] . على وظيفته ؟

أَلم يقل أبو حنيفة فى مثل حالنا : طالب القضاء لا يُوَلَّى

(١) بمعنى تقاتل (٢) الكف عن القتال (٣) الاشتباك في القتال

٢٤

شهادة الزور

هى إحدى الكُبَر لقوله عليه السلام : ألا أخبركم بأكبر الكبائر ، قالوا بلى يا رسول الله قال الشِّركُ بالله وعقوق الوالدين (وكان متكئاً فجلس وقال) ألا وقولُ الزور وشهادة الزور . فما زال يكررها حتى قلنا لا يسكت..

هى قرينة الشِّرك بالله لقوله تعالى (فاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ) . . .

هى تلك التى غيَّرت المعالم ، وتفشَّتْ بها المظالم . فصار الأمين متهماً ، والبرىء مجرماً . وفرّقت بين المرء وزوجه فكانت سحراً حراماً ، وشراً لِزَاما ، إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً [1] . .

هى التى أصيب بها القضاء فعطلت أحكام الله . وأطفئ نوره بالأهواء . وصار توخى العدالة فى الحكم ، إمعاناً فى الظلم . فزهق الحق وانتعش الباطل .

هى التى مكّنت العدوّ من دم عدوّه فاستحله بحكم القضاء ، وشريعة السماء ، فاجتمع بها الإغضاب للخالق والأذى للمخلوق . واصطلحت على مستحلها أنواع الإلحاد والفسوق .

هى التى بها حُرِم المال كاسبه ، واستباحه ناهبه وسالبه . واتصل

---

(١) ملازماً

بالنسب مدّعيه . وانتزع الولد من أحضان أبيه . فتقطعت أواصر القربى بين الناس . فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ

هى التى عمت بها البلوى فى المتقاضين فما تقوم بجانبها حجة . ولا تنهض بيّنة ، إذا أحكم هذا الفاجر فجوره ، فلم يرده إلى الحق نورُه الذى يَغْشَى عينيه ، ولا حرارته التى تحرق قلبه . ولم تؤثر فيه ضراعة هذا الذى جرّته إلى المحاكمة دعواه ، وسجّلت عليه التهمة شفتاه . ولم يعدِل به عن كذبه ما يُصمّ أذنيه من إنذار الله بعقابه ، وتوعّده بعذابه . وهل يؤديها على وجهها إِلَّا مَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ . . .

يقف أمام القاضى وهو يعلم أن سيف القضاء يُسَلّ من لسانه ، وأن لهب العذاب ينبعث من جنانه . فيُشهِد الله على قوله ثم يكذب عليه ، ويعين الظالم ولا يخاف أن يسلط عليه

سبحانك اللهم ! ! لم تخلق الهوامّ زواحف ودواب حتى شاءت قدرتك أن تجعل من الإنسان من يمشى على بطنه أو يقوم على أربع ، ويستحل لمثلها كل مرعى ومَرْبَع

سبحانك ! هل كان أولى بالمسخ من شاهد الزور ؟ ما كان أجدره أن يطول لسانه حتى يعثر به ، وأن يسيل لعابه حتى يغرَق فيه . ثم إذا أراد الله له رَاحة من عذاب السخرية . وانقضاء لأيام المحنة لفّ عليه لسانه فقتله بشىء من سمه الذى كان يلدَغ به الأبرياء

٢٥

ليلة القدر

لا أحب أن أُعيد على مسمعك فى شأن هذه الليلة المباركة ما قد طالما سمعته من قواعـد [١] بيتكم أيام الصغر، أو تلقيته عن خطباء المساجد ووُعّاظها الذين غفلت عنهم وزارة الأوقاف وأطلقت لهم العِنان فى الدعوى على الدين، فتلك أَخيلة [٢] دونها أَخيلة الشعراء وأكاذيب أغرب من أساطير الأولين . . . هؤلاء هم السلف الصالح الذين قطعوا العمر بعبادة الله وصاموا الدهر وأحيَوْا ليلهم بالقنوت — نقرأ سيرهم العَطِرة ونسمع حديثهم على ما فيه من دخيل فلا نجد أحدهم رأى تلك الفَجْوة التى تنفتح فى السماء فيخطَف نورها الأبصار، ثم ما تلبث السماء أن تنطبق وتَحلك ظلمة الليل كما كانت، فمن أراد الله به خيراً أطلق لسانه فى خَطْفَة هذا النور بالدعاء بالغاً ما بلغ من الخطل والاستحالة، محسوباً على الداعى لفظه . لادخل فيه للنية . ولا نظر لما أراده القلب

ولا بد أنك سمعت حكاية ذلك « الحشاش » . الذى رأى ذلك النور فطلب من الله الستر فأخطأه اللفظ وجرى على عادته فى التفخيم فكان لفظه « الصطْل » وهو فى لغتهم استرخاء وغيبوبة يكونان من أثر تناول المخدرات

(١) جمع قاعد وهى العجوز (٢) جمع خيال

فحوسب الرجل على لفظه وقضى حياته « مصطولا » من غير « صطل »

أيها القارىء الكريم أستحلفك بالله أن تفتش قلبك (وأنت قد تعلمت وارتق فكرك وتمّ يقينك) ألا تجد فيه موضعاً لهذا الوهم ؟ وأنك مهما غالبته عاد لحكّ فى صدرك لأنك تلقيته فى الصغر ممزوجاً بحلاوة الأقاصيص ؟ وإذا كان هذا شأنك فكيف بذلك الجاهل الذى يرى قول الواعظ أو الخطيب ديناً واجب التصديق إذا هو ظل على هذا الاعتقاد ؟ ألا يبقى حياته مشغولا بطلب المستحيل ؟ أو تراه فى شبابه سادراً [1] فى غوايته مدّخراً للتوبة ساعة من هذه الساعات التى يرتفع فيها سعر العبادة فتكون اللحظة بستين سنة ! !

رحمك الله أيها الأستاذ الإمام فقد أبى لك إجلالك لدينك أن تقبل مثل هذه التُّرهات أو يصح عندك شىء من تلك المبالغات فى قدر هذه الليلة . وهذا تفسيرك ينطق بالحق فرحمك الله وأحسن مثوبتك .

أما ملخص هذا التفسير فهو أن هذه الليلة وهى إحدى الليالى العشر من آخر رمضان عظيمة القدر عند الله لأنه بدأ فيها بتنزيل آى كتابه على نبيه . وقد هبَط الوحى الأمين فى جمع من الملائكة يحمل إلى النبى أولى هذه الآيات

فإذا نحن أحيينا هذه الليلة فلشكر الله على نعمة الإسلام

---

(١) المتمادى المستهتر